الخطّة الدراسيّة للفصل الأول للعام المأتمي 2018-2019م

الفرقة: السابعة

رمز المقرر: سير 701

اسم المقرّر: السيرة النبوية (1)

توصيف المقرّر

يتناول هذا المقرّر عرضًا تحليليًّا لسيرة النبي محمّد ﷺ بصورة تحليليّة منذ ولادته ونشأته في مكّة، ثمّ بعثته ﷺ إلى أنْ قرّر أن يهاجر إلى يثرب. ويحاول التعرّض للمسائل بصورة موضوعيّة بعيدة عن التعصّب وبنظرة مملوءة بالعقلانيّة.

الخطّة الأسبوعيّة

الأسبوع	الموضوع	الصفحة	ملاحظات
الأوّل	السيرة النبويّة ومصادرها	5	
الثّاني	حالة المجتمعات قبل الإسلام	11	
الثّالث	نشأة النبي وطفولته	17	
الرّابع	في عنفوان الشباب	21	
الخامس	البعثة النبوية	27	
السّادس	الدعوة الجهريّة	31	
السّابع	مقتطفات في مكّة	37	
الثّامن	هجرات المسلمين	41	

فهرس المحتويات

الدرس	العنوان	الصفحة
الأوّل	السيرة النبويّة ومصادرها	5
الثّاني	حالة المجتمعات قبل الإسلام	11
الثّالث	نشأة النبي وطفولته	17
الرّابع	في عنفوان الشباب	21
الخامس	البعثة النبوية	27
السّادس	الدعوة الجهريّة	31
السّابع	مقتطفات في مكّة	37
الثّامن	هجرات المسلمين	41

درس اليوم

كلمة السيرة مشتقة من كلمة السير، والسير يعني المشي والحركة، بينما السيرة تعني طريقة المشي والحركة والسلوك.

وبعبارة أُخرى: السيرة عبارة عن الأسلوب والنمط الذي يتبعه الإنسان في حياته وفي أعماله اليومية ﷺ.

وعندما نبحث في السيرة النبوية فإننا نريد التعرّف على الأسلوب والنمط الذي كان يتبعه النبي محمّد بن عبد الله ﷺ في أعماله اليومية للوصول إلى أهدافه النبيلة، فمثلاً: كيف كان سلوكه؟ وكيف كانت أخلاقه وعلاقاته مع أصحابه وزوجاته ومجتمعه؟ وكيف كان يبلّغ رسالته؟ وما هي الأحداث التي واجهها في طريق الدعوة إلى الله وكيف كان يتعامل معها؟ وكيف كان يقود مجتمعه إداريًا وسياسيًا واقتصاديًا وتربويًا وتعليميًا؟ وغير ذلك.

إن الكشف عن جوانب شخصية النبي ﷺ وما يرتبط بحياته ومواقفه وسلوكه وأوضاعه وطريقة تعامله مع الأحداث والتحديات والمستجدات وغير ذلك هو ما يراد بحثه عادة في السيرة النبويّة.

ومن المعلوم أنّ السيرة العظيمة للنبي ﷺ قد تعرضت للكثير من الجعل والافتراء والتشويه على أيدي الكثيرين من حكّام ومندسين وغيرهم.. حيث كانت لدى هؤلاء خطة خبيثة تستهدف النيل من شخصية النبي ﷺ وسيرته، وقد نُفّذت هذه الخطة عن طريق دسّ نصوص مُخْتَلقة ومزَّيفة في كتب السيرة والتاريخ تسيء إلى رسول الله ﷺ وتنسب إليه ما لا يليق به.

ولذلك أصبح من الضروري جدًا إذا أردنا أن نكوّن صورةً واضحةً ونقيّة عن حياة وسيرة رسول الله أن نعتمد على مصادر صحيحة، ومعايير وضوابط تكون قادرةً على إعطائنا الصورة الحقيقية الأكثر نقاءً وصفاءً عن

شخصية النبي ﷺ، وتكون قادرة أيضًا على إبعاد ذلك الجانب المصطنع والمزيّف من النصوص عن محيطنا الفكري والعملي بصورةٍ كاملة.

فما هي تلك المصادر التي ينبغي اعتمادها لاستخراج سيرة رسول الله ﷺ ؟

وما هي تلك المعايير والضوابط التي يجب أن نعتمدها لتمييز النصوص الصحيحة من النصوص المزيّفة؟

هناك عدّة مصادر يمكننا أنْ نستخلص بالاعتماد عليها معالم شخصية النبي وتفاصيل حياته وسيرته وهي:

أولاً: القرآن الكريم، فإنّ القرآن الكريم أعطى صورةً واضحة ورائعة عن شخصيةّ النبي ﷺ وصفاته وخصائصه ومواقفه في كثير من السور والآيات، ويستطيع قارئُ القرآن بالتدبُّر التام في الآيات التي نزلت في شأنِ رسول الله ﷺ، أنْ يحيط بالكثير من جوانب شخصيته وحياته مُنذ أن بعثه الله وإلى أن فارق هذه الدنيا.

فقد أشار القرآن مثلاً إلى مكانة النبي ومنزلته وعظمته، في سورة الحجرات والنور والأحزاب وغيرها، وأشار إلى أسمائه وألقابه في سورة الصفّ وآل عمران والمائدة، وإلى صفاته وخصائصه، كالعصمة والطهارة والرأفة والرحمة والعطف والشجاعة، في سورة آل عمران والتوبة والأحزاب والأنبياء وغيرها، وأشار القرآن إلى أخلاق النبيّ وصبره وثباته في مواقع التحدّي، وإلى طريقة تبليغه للرسالة، وإلى مواقفه من عدم استجابة قومه لدعوته وغير ذلك مما يرتبط بحياته وسيرته، في كثير من الآيات والسور.

فالرجوع إلى نفس القرآن واستخراج سيرة النبي وصفاته وأفعاله من خلال ما عرضته الآيات يُعتبر من أوثق وأصحّ الطرق والمصادر لدراسة شخصيّة النبي وتكوين صورة واضحة ونقيّة عن حياته وأخلاقه وعلاقاته ومواقفه وقيادته والتحديات التي واجهها في طريق الدعوة إلى الله.

ثانيًا: النصوصُ الواردة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام التي عرضت سيرة وحياة رسول الله، فإنّ هذه النصوص تعتبر بعد القرآن أهمّ المصادر التي نأخذ منها خصائص ومميّزات شخصيّة النبي وتفاصيل حياته، على اعتبار أن أهل البيت عليهم السلام أدرى بما فيه، وأنّهم الأئمة المعصومون الذين يحملون العلم الإلهي.. وعندهم علم الكتاب وعلم ما كان ويكون. وليس لأحد كائنًا مَن كان أنْ يناقش فيما يُنقل بطريق صحيح عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام الذي لازم رسول الله ﷺ في جميع مراحل حياته، حيث كان يتبعه أتباع الفصيل أثرَ أمه، ويراه في الأوقات التي لا يراه فيها غيرُه.

وقد ورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام مئات بل آلاف النصوص والروايات التي تحدّثت عن حياة رسول الله العامّة والأحداث الكبرى التي عاشها في حياته، وعن سيرته الذاتيّة والخاصّة.

وثالثًا: الروايات التاريخية المروية بالتواتر عن المسلمين الأوّلين، فالنصوص المروية عن الأثبات من الصحابة الذين لا يميل بهم هوى عن جادة الحق، والتي تتحدّث عن سيرة النبي، تُعتبر من مصادر السيرة والتاريخ إذا ثبتت صحتها بالتواتر أو بإحدى وسائل الإثبات الأخرى.

أمّا النصوص والروايات التاريخية الأخرى التي لم تروَ عن أئمة أهل البيت عليهم السلام ولم تكن متواترةً، فلا بدَّ إذا أردنا تقييم هذه النصوص من أن نعتمد على ضوابط وقواعد نستطيع من خلالها تمييز النصّ الصحيح الذي يعكس الواقع التاريخي بصورة صادقة من النصّ المصطنع أو المحرّف.

وأهمّ الضوابط والقواعد التي ينبغي اعتمادها في هذا المجال هي:

أولاً: دراسة أحوال وأوضاع الناقلين للحديث، فإنّ أول ما ينبغي ملاحظته في الحديث المنقول هو سنده، والسندُ: هو عبارةٌ عن مجموع أسماء الأشخاص الذين نقلوا لنا الحديث أو الحدث التاريخي، فلا بُدّ من دراسة أحوال وأوضاع هؤلاء الرواة لمعرفة ميولهم وارتباطاتهم السياسيّة والمصلحيّة، ولمعرفة مدى صدقهم ودقتهم فيما أخبرونا به، وبالتالي مدى إمكانيّة الوثوق والاعتماد على نقلهم.

وطبيعيٌ أنَّ مَن عُرف عنه أنّه يكذب في خبره أو لا يدقّق في نقله، فلا يمكن الاعتماد على حديثه، إلاّ بعد أنْ نتأكد مِن صحّته من مصادر وجهات أخرى.

وكذلك من عُرف عنه أنه ينساقُ وراء أهوائه السياسيّة أو المذهبيّة أو المصلحيّة فإنّه لا يمكن الأخذ بما ينقله لنا لأنه يكون بذلك قد أخلّ بدرجة الوثوق والاطمئنان، أو إذا كان ما ينقله يمثّل اعترافًا بأمرٍ لا يرغب بالاعتراف به إلاّ حينما لا يجد مجالاً للتهرّب والتنكّر له.

وثانيًا: أنْ يكون مضمونُ النصّ الذي يحكي لنا فعل وسلوك النبي منسجمًا مع صفات وخصائص الشخصيّة النبويّة ومميزاتها، فإذا جاء النصّ منسجمًا ومتناسبًا مع الوضع الطبيعي لشخصيّة رسول الله المثالية بما لها من خصائص ومميزاتٍ رساليّة، فإنّه يكون مقبولاً ونأخذُ بمضمونه إذا توافرت فيه سائرُ شروط القبول الأخرى.

فمثلاً: إذا ثبت لدينا بالدليل القطعي الصحيح أنّ شخصيّة النبي هي في أعلى درجات الطهر والعصمة والحكمة والشجاعة، وأنّه يتحلّى بكلّ الصفات النبيلة والفضيلة جامعًا لكلّ القيم الإنسانيّة السامية، فلا بُدّ مِن جعل كلّ ذلك معيارًا وميزانًا لأيّ نصٍ يُروى بشأنه ويريد أنْ يسجِّل لنا قولاً أو فعلاً أو تقريرًا أو موقفًا له صلى الله عليه وآله وسلم.

فإذا جاء النصّ منسجمًا مع هذه الخصائص والمميزات الثابتة بالدليل القطعي الصحيح فإنّه يكونُ مقبولاً، وإلاّ فلا يمكن قبوله، كما لو نسب النصّ والعياذ باللّه الرذيلة أو الفجور لرسول الله، أو عبادة الأصنام، أو التصرّفات التي تعبِّر عن جهله أو عدم اتّزانه، فإنّنا لا نتردّد في رفض مثل هذا النصّ. فكما أننا لا يمكنُ

أن نقبل أن يكون مرجع ديني معروف بالورع والتقوى قد ألّف أغنيةً أو لحّنها للمغنيّة الفلانيّة مثلاً، فكذلك لا يمكن أن نقبل أن تُنسب إلى رسول الله ﷺ أو إلى أحدٍ من أئمة أهل البيت عليهم السلام تصرّفات هي بمستوى ذلك أو أقبح وأسوأ من ذلك.

وثالثًا: عرضُ النصوص التاريخيّة وغيرها على القرآن الكريم فما وافق كتاب الله نأخذ به وما خالفه نتركه، وهذه قاعدةٌ لا بُدَّ أنْ نعتمدها ليس في نصوص السيرة فحسب، بل في كلّ الأحاديث المنقولة عن النبي ﷺ أو عن أحد أئمة أهل البيت عليهم السلام سواء أكانت تاريخًا أو فقهًا أو أخلاقًا أو غير ذلك.

فقد رُوي عن النبيّ ﷺ أنه قال: "تكثُر لكم الأحاديث بعدي، فإذا رُوي لكم عنّي حديث فاعرضوه على كتابِ الله فما وافق كتاب الله فاقبلُوه وما خالفَ فردُّوه".

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: "ما لم يوافق كتاب الله فهو زُخرُفْ".

رابعًا: عدم التناقض والتنافي بين النصوص، فإن وجود التناقض فيما بينها يشير إلى وجود نص مجعول، أو تعرّض النصّ لتصرّف ما أزاله عن وجهته الصحيحة، الأمر الذي يستدعي مزيدًا من الانتباه، وبذل المزيد من الجهد لمعرفة الصحيح من المزيّف منها.

خامسًا: أنْ لا يخالف النصّ الواقع المحسوس، كما لو ادّعى النص: أنّ أقرب طريق مِن مكة إلى المدينة يمرّ عبر الأندلس.

سادسًا: أنْ لا يخالف البديهيّات والضرورات العقليّة الثابتة، ومِن ذلك قولهم: إنّ اللّه عادل وحكيم، ولكنّه يجبر عباده على أفعالهم، ثمّ يعاقبهم عليها. وقولهم: إنّه تعالى لا يحدُّه مكان ولا جهة، ثمّ يقولون إنّ له ساقًا وقدمًا وأصابع وما إلى ذلك.

سابعًا: أنْ لا يخالف الحقائق العلميّة الثابتة بالأدلّة القطعيّة، كالنصّ الذي يقول: إنَّ الأرض تقوم على قرن ثور.

ثامنًا: أنْ لا يحمل النص تناقضًا مع ما هو ثابت تاريخيًّا بصورة قطعيّة، فإذا كان مِن الثابت أنَّ الإسراء والمعراج قد حصلا قبل الهجرة، وثبت أنّ عائشة إنما انتقلت إلى بيت رسول اللّه ﷺ بعد الهجرة، فلا يمكن بعد هذا تصديق النصّ الذي ينقل عن عائشة نفسها أنّها قالت: ما فقدت جسد رسول اللّه ﷺ في تلك الليلة؛ يعني ليلة الإسراء والمعراج.

تاسعًا: أنْ يكون النصّ الصادر عن رسول اللّه ﷺ أو أحد الأئمة المعصومين عليهم السلام موافقًا للأحكام العقليّة والفطريّة السليمة، ومِن ذلك حكم العقل بوجوب عصمة النبي ﷺ والإمام عليه السلام عن الخطأ، فالنصّ الذي يريد أنْ ينسب إلى النبي ﷺ والإمام المعصوم عليه السلام خطئًا معيّنًا، لا نتردّد في رفضه ولا نشكّ في أنّه من الأخبار المصطنعة.

أختبر نفسي

1- لماذا ندرس سيرة النبي ﷺ وأهل بيته؟

.....

.....

2- عدِّد المصادر التي يمكن الاعتماد عليها للتعرف على حياة النبي ﷺ.

.....

.....

3- ما هي أهمّ الضوابط والقواعد التي ينبغي الاعتماد عليها لتمحيص الروايات التاريخية؟

.....

.....

درس اليوم

البداية الطبيعية للحديث عن رسول الله محمّد بن عبد الله ﷺ تفرض علينا إعطاء لمحة عن تاريخ ما قبل البعثة وما اتّصل بها من أحداث ووقائع، لنتعرّف على الظروف والأوضاع التي كانت تحكم المجتمعات العربيّة آنذاك والمنطقة التي انطلقت فيها دعوة النبي ﷺ إلى الإسلام.

وسوف نستعرض في حديثنا في هذا الدرس الظروف والأوضاع الدينيّة والسياسيّة والاجتماعيّة والأخلاقيّة التي كانت سائدة في منطقة شبه الجزيرة العربية في العصر الجاهلي.

أوّلاً: الوضع الديني

على المستوى الديني كانت الوثنيّة هي الديانة الكبرى في شبه الجزيرة العربية وكانت عقيدة الشرك، وعبادة الأصنام متفشّية بين سكان هذه المنطقة.

ويكفي أن نذكر أنّ عبادتهم كانت ملوّنة باللون القبلي فلكلّ قبيلة، بل لكلّ بيتٍ أحيانًا وثنٌ وطريقةٌ في العبادة، وبالرغم من أنّ الكثيرين منهم كانوا يعتقدون بوجود الله وخالقيّته، إلاّ أنّهم كانوا يعتبرون أنّ عبادتهم للأصنام تقرّبهم إلى الله زلفى، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله تعالى: (وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ).

أضف إلى ذلك أنّهم ما كانوا يعتقدون بالمعاد والحياة بعد الموت، وقد أشار القرآن إلى ذلك في كثير من الآيات.

هذه حال الوثنيّة، أمّا اليهوديّة والنصرانيّة فلم تستطيعا بسبب عمليّة التحريف الكبرى التي تعرّضتا لها بعد موسى وعيسى عليهما السلام أنْ تقدّما إنموذجًا إيجابيًا بنّاءًا للإنسان العربي، ولم تحدث في صفاته الذميمة وعاداته السيّئة أي تغيير أو تبديل حتّى أنّ بعض النصارى مِن العرب كقبيلة تغلب لم يكونوا يعرفون من النصرانيّة إلاّ شرب الخمر!

إلاّ أنّ اليهوديّة والنصرانيّة ساهمتا مع ذلك في تحضير الإنسان العربي للفجر الجديد، وذلك بالتبشير بقرب ظهور نبي عربي، فكان اليهود يتوعّدون العرب الوثنيّين ويقولون لهم: "ليخرجنّ نبي فيكسرنّ أصنامكم"، وقد سمّى جماعة منهم أبناءهم (محمّدًا) رجاء أنْ يكون هو النبي المنتظر.. كلّ ذلك هيَّأ الأجواء معنويًّا لتقبُّل ظهور النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وبسبب وزن أهل الكتاب علميًا عند العرب في الجاهلية فقد اكتسبت هذه التنبُّؤات بُعدًا حقيقيًا انعكس قبولاً للدعوة واستجابة لها.

ثانيًا: الوضع السياسي

وأمّا على المستوى السياسي فإنّ سكان شبه الجزيرة العربية آنذاك، لم يخضعوا لأيّ نظام أو سلطة مركزيّة غير سلطة القبيلة.

وبسبب أنّ معظم سكان هذه المنطقة كانوا مِن البدو الرحّل الذين يُمسون في مكان ويصبحون في آخر من جهة، وبسبب رفضهم لجميع أنواع التسلُّط الذي يحدُّ مِن حرّيّة الأفراد والقبيلة من جهةٍ ثانية، وبسبب بعض العوامل الاقتصاديّة نظرًا لكون طبيعة المنطقة صحراويّة لا تصلح للزراعة والعمل، ولا تساعد على الاستقرار وتنظيم الحياة والإنتاج من جهة ثالثة، لأجل كلّ ذلك نجد أنّ هذه المنطقة بقيت بعيدةً عن سيطرة ونفوذ الدول الكبرى آنذاك كدولة الفرس ودولة الرومان، فلم تخضع المنطقة لحكم أي من الرومان والفرس والأحباش، ولم تتأثّر بمفاهيمهم وأديانهم كثيرًا.

ومن هنا فقد نشأت عن هذا الوضع ظاهرةُ الدويلات القبليّة، فكان لكلّ قبيلة حاكم، ولكلّ صاحب قوّة سلطان، ولم يكن يجمعهم نظام مركزي واحد، أو سلطة سياسيّة مركزيّة، وإنما كانوا يعيشون فراغًا سياسيًّا في هذا الجانب.

ثالثًا: الوضع الاجتماعي

أمّا الوضع الاجتماعي فإنّ الحياة الصعبة التي كان يعيشها الإنسان العربي في البادية، والحكم القبلي،

وعدم وجود روادع دينيّة أو وجدانيّة قويّة، دفعت بالقبائل إلى ممارسة الحرب والاعتداء على بعضها البعض كوسيلة من وسائل تأمين العيش أحيانًا، وأحيانًا لفرض السيطرة، وأحيانًا أخرى للثأر والاقتصاص، فكانت تُغيرُ هذه القبيلة على تلك وتستولي على أموالها وتسبي نساءها وأطفالها وتقتلُ أو تأسر مَن تقدر عليه مِن رجالها، ثمّ تعود القبيلة المنكوبة تتربّص بالقبيلة التي غلبتها وهكذا.

ولذلك فإنّ مَن يطالع كتب التاريخ يرى بوضوح إلى أيّ حد كانت الحالة الاجتماعية متردِّية في ذلك العصر، فالسلْب والنهب والإغارة والتعصُّب القبلي كان من مميزات ذلك المجتمع، حتى إذا لم تجد القبيلة مَنْ تُغير عليه مِن أعدائها أغارت على أصدقائها وحتّى على أبناء عمّها.

وكانت لأتفه الأسباب تحدث بينهم حروب طاحنة ومُدمِّرة يذهب ضحيتها آلاف الناس وتستمرُّ لسنين طويلة. ولعلّ مِن أبرز الأمثلة على ذلك ما عُرف "بحرب داحس والغبراء" وهما فَرَسَان يملكُ أحدهما قيس بن زُهير ويملك الآخر حذيفة بن فزارة، فقد استبقا واختلفا حول السابق منهما، وقد أدّى اختلافهما بسبب هذا الأمر التافه إلى التنازع ونشوب الحرب بين قبيلتيهما حيث استمرّت الحرب بينهما أربعين سنة من سنة 568م وحتى سنة 608م.

وأفضل مرجع للتعرّف إلى ملامح الوضع الاجتماعي في العهد الجاهلي هو كلماتُ أمير المؤمنين عليه السلام التي يصف فيها حال العرب قبل بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم حيث يقول في بعض كلماته: "إنّ الله بعث محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم نذيرًا للعالمين وأمينًا على التنزيل، وأنتم معشر العرب على شرّ دين وفي شرّ دار، منيخون -أي مقيمون- بين حجارة خُشنٍ وحيّات صُمّ، تشربون الكدر، وتأكلون الجشب، وتسفكون دماءكم، وتقطعون أرحامكم، الأصنام فيكم منصوبة، والآثام بكم معصوبة".

ويقول جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وهو يصف الوضع الجاهلي لما دخل على النجاشي وقد سألهم عن أحوالهم، قال: "كنّا قومًا أهل جاهليةٍ، نعبدُ الأصنام، ونأكلُ الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطعُ الأرحام، ونسيءُ الجوار، ويأكلُ القويّ منّا الضعيف".

رابعًا: الوضع الأخلاقي

وأمّا الوضع الأخلاقي العام فقد كانت القسوة والفاحشة وتعاطي الخمر والربا ووأد البنات والأبناء خشية العار والفقر هي السمات العامّة للأخلاق المتفشّية في المجتمع الجاهلي.

ويكفي أن نشير إلى بعض النماذج من العادات والتقاليد اللاّأخلاقية التي كانت سائدة آنذاك لمعرفة مدى

شيوع الفاحشة وظاهرة انعدام الغيرة والتحلُّل الأخلاقي في تلك المجتمعات.

فقد أشار النصّ الذي ذكرناه آنفًا عن أمير المؤمنين عليه السلام وعن أخيه جعفر رضي الله عنه إلى بعض الموبقات التي كانت معروفة بينهم وإلى بعض حالاتهم وأوضاعهم السيِّئة. وقد أدان القرآن حياتهم الجاهليّة ونعى عليهم كثيرًا من حالاتها فأشار على سبيل المثال إلى أنّ الزواج من الخالة زوجة الأب كان من جملة سلوكهم الجاهلي البغيض، وقد أشار القرآن إلى تحريم هذا السلوك بقوله تعالى:(وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا).

وكانوا يُكرهون الجواري والإماء والخدم على البغاء والزنا من أجل كسب المال، وقد أشار القرآن إلى ذلك بقوله: (وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُواْ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا).

ويقال: إنّه كانت لعبد الله بن أبيّ (رئيس المنافقين) ست جوارٍ وكان يُكرههنّ على البغاء للحصول على المال.

ومن عاداتهم القبيحة أيضًا الطواف حول الكعبة وهم عراة سواء الرجال والنساء.

وكان الرجل إذا هدّده الإفلاس وشعر بأنّه سيُصاب بالفقر كان يبادر إلى قتل أولاده خوفًا مِن أنْ يراهم أذلاّء جائعين، وقد أشار القرآن إلى ذلك بقوله تعالى: (وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ مِّنْ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ).

كما أنّنا نستطيعُ معرفة مدى شيوع ظاهرة وأد البنات ودفنهنّ وهنّ أحياء من تعرض القرآن الكريم لهذه العادة، وإدانته لهذه الجريمة، وتعنيفه لتلك المجتمعات على هذا السلوك الوحشي البشع، فقد قال تعالى: (وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ)، وقال أيضًا: (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝٥٨ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ).

هذه هي بعض أوضاع وأحوال المجتمع في شبه الجزيرة العربية آنذاك.

ومِن قلب هذا المجتمع، ومِن قلب هذا الجوّ القبلي المعقّد والمشرذم الذي توافرت فيه كلّ أنواع الفساد والبعد عن القيم والأخلاق، الذي يتطلب عملية تغيير شاملة، خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليكون قائدَ عمليّة التغيير هذه بالوحي الإلهي وبالرعاية الربانيّة وعلى أساس الحقّ والصدق والطهر، وقد استطاع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في فترةٍ وجيزةٍ جدًا أن ينقل هذه الأمة من حضيض الذلّ والمهانة إلى أوج العظمة والعزّة والكرامة، وأن يغرس فيها شجرة

الإيمان التي من شأنها أن تغيّر فيها كلّ عاداتها ومفاهيمها الجاهلية وأن تقضي على كل أسباب شقائها وآلامها.

لقد استطاع الإسلام في فترةٍ لا تتجاوز سنواتها عدد أصابع اليدين أنْ يحقّق أعظم انجاز في منطقة كانت لها تلك الصفات والمميّزات، وأن يحدث انقلابًا حقيقيًّا وجذريًّا في عقليّة ومواقف وسلوك وأخلاق تلك الأمّة وفي مفاهيمها، وأن ينقلها من العدم إلى الوجود، ومن الموت إلى الحياة.

وقد عبّر عن ذلك جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه لملك الحبشة بعدما بيّن له الأوضاع المتردّيّة التي كانوا يعيشونها قبل مبعث النبي ﷺ فقال: "‥ فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقهُ وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحّده ونعبده، ونخلع ما كنّا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكفّ عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور، وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة..".

أختبر نفسي

1- في ضوء ما درست عدِّد الظروف والأوضاع التي كانت سائدة في منطقة شبه الجزيرة العربية في العصر الجاهلي مع شرح واحدة منها.

.....

.....

2- بيّن بالتفصيل واقع الوضع الديني لسكان شبه الجزيرة العربية بالعصر الجاهلي.

.....

.....

.....

3- صف حال العرب قبل الإسلام من: أ- الناحية السياسيّة ب- الناحية الاجتماعيّة

.....

مشروع تعليم الصلاة

الدرس الثالث

نشأة النبي وطفولته

نشأة النبي وطفولته

درس اليوم

نسب النبي

يعود نسب النبي ﷺ إلى هاشم بن عبد مناف الذي تنتسب إليه أشرف أُسرة في مكة هي أُسرة بني هاشم.

فهو أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، المنحدر من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام.

ولدته أمّه آمنة بنت وهب في مكّة المكرمة في منزل أبيه عبد الله بن عبد المطلب في شعب أبي طالب يوم الجمعة في السابع عشر من شهر ربيع الأوّل في عام الفيل الموافق لسنة 571 للميلاد.

رضاعه

لم يرتضع من أمّه سوى ثلاثة أيّام، ثم حظيت بشرف إرضاعه حليمة السعديّة بنت أبي ذؤيب من بني سعد.

فقد رأى عبد المطّلب أنْ يرسل حفيده إلى البادية ليكمل رضاعه هناك، وينشأ ويترعرع في البادية، ليكتسب اللغة الصحيحة، والقوّة والمناعة.

وكانت حليمة ترعاه هي وزوجها وتقدّمه حتى على أولادها، وقد وجدت فيه كلّ الخير والبركة، وقد روي عنها أنّها قالت: "قدمنا منازل بني سعد ومعي يتيم عبد المطلب، ولا أعلم أرضًا أجدب من أرضنا، فكانت

غنمي تجيء حيث حلّ محمّد فينا جياعًا فنحلب منها ونشرب ويتدفّق الخير علينا، وأصبح جميع من في الحيّ يتمنى ذلك اليتيم الذي يسَّر لنا الله ببركته الخير ودفع عنا الفقر والبلاء".

بقي النبي ﷺ مع حليمة إلى أنْ بلغ سنّ الخامسة، فعادت به إلى أهله ليكون في كفالة جدّه عبد المطلب ثمّ في رعاية عمّه أبي طالب.

النبي في كفالة جده

فَقَدَ النبي ﷺ أمّه بعد عودته مِن حي بني سعد وله مِن العمر ستّ سنوات على أشهر الروايات، وأصبح بذلك يتيم الأبوين، فعاش في كفالة جدّه عبد المطلب، الذي كان يرعاه خير رعاية، ولا يأكل طعامًا إلا إذا حضر، وكان يفضّله على سائر أبنائه.

ويبدو أنّ عبد المطلب كان عارفًا بنبوّة محمّد وما سيكون من أمره وشأنه من خلال أمرين:

أولاً: من الصفات والملامح التي كانت تظهر على النبي ﷺ، والبركات والأحداث التي رافقته منذ ولادته وفي أحضان أمّه ومرضعته.

وثانيًا: مِن البشائر والأخبار التي كانت تُنبيء بمستقبله ونبوته.

إنّ هذا النوع من المؤشرات والدلائل رسّخت في نفس عبد المطلب الاعتقاد بنبوّة حفيده وجعلت له ﷺ مكانة خاصّة عنده، بحيث كان يعطيه مِن الحبّ والعطف والحنان والاهتمام ما لم يعطه لأحد غيره، إلاّ أنّ هذا الحنان الدافق وهذه الرعاية الكريمة لم تدم له ﷺ طويلاً، فقد توفّي عبد المطلب والنبي ﷺ في الثامنة من عمره، فانتقل بعده إلى دار عمّه أبي طالب.

النبي في رعاية أبي طالب

قبل أنْ توافي المنية عبد المطلب كان قد جمع أولاده العشرة وأوصاهم بابن أخيهم محمّد ﷺ ولمّح لهم بما سيكون من شأنه في المستقبل، ومما قاله لهم: "إنّي قد خلّفت لكم الشرف العظيم الذي تطأون به رقاب الناس" على حدّ تعبير المؤرّخ اليعقوبي.

وقد اختار عبد المطّلب مِن بين أبنائه أبا طالب ليكون هو من يكفل محمّدًا بعده ويقوم برعايته، وذلك لسببين:

الأول: إنّ أبا طالب كان أخًا لوالد النبي ﷺ مِن أمّه، فإنّ أمّهما هي فاطمة بنت عائذ المخزوميّة، وطبيعي أنْ يكون أبو طالب أكثر حنانًا وعطفًا وحبًّا لابن أخيه من أبيه وأمه من بقية إخوانه كالحارث والعباس وغيرهما الذين كانوا مِن أمهات شتى.

الثاني: إنّ أبا طالب كان أنبل إخوته وأكرمهم، وأعظمهم مكانة في قريش، وأجلُّهم قدرًا، وقد ورث زعامة أبيه عبد المطّلب، وخضع لزعامته القريب والبعيد بالرغم من فقره.

وقد ورد عن علي عليه السلام أنّه قال: "إنّ أبي ساد الناس فقيرًا، وما ساد فقير قبله".

وقد قام أبو طالب برعاية النبي خير رعاية، وأدّى الأمانة، وحفظ الوصية، وبقي محمّد ﷺ شغله الشاغل الذي شغله هو وزوجته فاطمة بنت أسد حتى عن أولادهما في أشدّ المراحل ضيقًا وحرجًا حتى النفس الأخير من حياتهما.

ولم يكن يعني أبا طالب شيء كما تعنيه رعاية النبي محمّد ﷺ والمحافظة عليه. وقد بلغ من عنايته به وحرصه عليه أنّه كان إذا اضطرّ إلى السفر لخارج مكّة أو الحجاز أخرجه معه.

أختبر نفسي

1- في أي عام ولد النبي محمد ﷺ ؟

.....

2- ضع علامة (✓) أو علامة (✗) أمام العبارات التالية:

( ) 1- تربّى النبي ﷺ في أيّامه الأولى في حي بني ساعدة.

( ) 2- انتقلت كفالت النبي ﷺ إلى جدّه وهو ابن 7 سنوات.

( ) 3- أبو طالب هو من كفل النبي ﷺ بعد وفاه أمّه.

3- ما سبب اختيار عبد المطّلب من بين أبنائه أبا طالب ليكون هو من يكفل محمّدًا ﷺ بعده ويقوم برعايته؟

.....

.....

الدرس الرابع في عنوان الشباب

في عنوان الشباب

درس اليوم

الزواج من خديجة

يذكر المؤرخون أنّ النبي ﷺ تزوّج بخديجة بنت خويلد زوجته الأولى بعد عودته من رحلته الثانية إلى الشام، وكان قد بلغ الخامسة والعشرين مِن عمره الشريف، وهناك أقوال أخرى تفيد أنّ عمره كان أكثر من ذلك بعدّة سنوات أي في سنّ 30 أو 37 سنة.

ونكاد نقطع بسبب كثرة النصوص على أنّ خديجة هي التي بادرت أوّلاً وأبدت رغبتها في الزواج من محمّد ﷺ بعدما رأت فيه من الصفات النبيلة ما لم تره في غيره.

ويرجّح كثير مِن المؤرِّخين أنْ يكون عُمْر خديجة حين زواج النبي بها ثمانية وعشرين عامًا وليس أكثر من ذلك.

كما أنّها لم تتزوّج قبله بأحدٍ قط، وأمّا النصوص التي تفيد أنّها تزوجت قبله برجلين هما: عتيق بن عائذ المخزومي، ثمّ أبو هالة التميمي، فإنّه من المحتمل جدًّا أن تكون هذه النصوص مما صنعته يد السياسة بهدف الإيحاء بأنّ النبي ﷺ لم يتزوّج امرأة عذراء غير عائشة.

مهنته ﷺ قبل البعثة

يتحدّث المؤرخون عن الأعمال التي كان يقوم بها النبي قبل البعثة لتأمين العيش وكسب الرزق، فيذكرون أنّ النبي ﷺ كان يرعى الغنم في مرحلة الصبا ومطلع الشباب، كما أنّه عمل في التجارة الخارجيّة مع خديجة عندما أصبح شابًّا في عمر الخامسة والعشرين.

ولا بدّ أنْ نتحدّث عن هذَيْن الأمرين، رعي الغنم، ومزاولة التجارة، لمعرفة ما إذا كان النبي ﷺ قد تعاطى هذا النوع من الأعمال في حياته أم لا.

أمّا الأمر الأول: وهو رعي الغنم، فإنَّ لنا أن نتساءل هل حقًا إن النبي ﷺ عمل في الرعي أم لا؟

الحقيقة أنّه لا بدّ في هذا المجال مِن أنْ نفرِّق بين أمرين: بين أن يكون النبي ﷺ قد رعى الأغنام لأهله، وبين أنْ يكون قد اتّخذ الرعي مهنة وعملاً له بحيث كان أجيرًا لأهل مكّة يرعى لهم الأغنام مقابل أجرٍ معينٍ يحصل عليه منهم.

فالأمر الأوّل نقبله ولا إشكال فيه، وهو أنْ يكون النبي ﷺ قد رعى الغنم لأهله، لأنّ رعي الغنم آنذاك كان عملاً عاديًّا، فلا مانع من أنْ يكون النبي ﷺ قد قام به كغيره من أبناء مجتمعه الذين كانت المواشي عندهم من الوسائل العاديّة الموجودة في كلّ بيت من أجل العيش وكسب الرزق.

وليس هناك أيّ عيب أو نقص في أنْ يقوم الإنسان بالعمل والكدح في سبيل تأمين العيش الكريم، والعمل في سبيل العيش من سنن الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، وقد عاش الكثيرون من الأنبياء عليهم السلام مِن عمل أيديهم وعرق جبينهم، وأتقنوا بعض المهن والأعمال الشريفة حتى لا يكونوا عبئًا على أحدٍ من الناس، وقد أوصى الإسلام بالعمل للدنيا والآخرة، وأكّد عليه، ورغَّب به، وندد بالكسالى والتنابل الذين يحقرون الأعمال الصغيرة الشريفة ويرفضونها ليتحولوا إلى عبءٍ على المجتمع بسبب بطالتهم.

إذن فلا مانع أنْ يكون النبي ﷺ قد رعى الغنم لأهله وعشيرته.

وما نرفضه هو الأمر الثاني، وهو أنْ يكون النبي ﷺ قد عمل أجيرًا في رعي الغنم لأهل مكّة أو لغيرهم. والذي يدعونا إلى هذا الشكّ أمران:

أوّلاً: إنّ الروايات الواردة في رعيه للغنم مختلفة ومتناقضة، فبعضها يقول: إنّه رعى لأهله، وبعضها يقول: لأهل مكّة، وبعضها يقول: بالقراريط -أي بأجرٍ زهيد-والبعض الآخر أبدلت فيه كلمة بالقراريط بكلمة بأجياد التي هي اسم مكان في مكة، ومِن الواضح أنَّ مثل هذا الاختلاف غير مقبول إذا كان الراوي واحدًا، ويكون من دواعي الشكّ في الرواية.

وثانيًا: إنّ اليعقوبي وهو المؤرِّخ المعروف بدقته وتثبته في الأمور التاريخيّة، قد نصّ على أنّ النبي ﷺ لم يكن أجيرًا لأحد قط، وهذا يعني أنّه ﷺ لم يكن أجيرًا لأهل مكّة ولا لغيرهم ولا لأحدٍ حتّى لخديجة نفسها.

وأما الأمّر الثاني، وهو عمل النبي ﷺ بالتجارة فيذكر المؤرخون: أنّ النبي ﷺ عمل بالتجارة مع خديجة بنت خويلد قبل الزواج منها وقد سافر إلى الشام لهذه الغاية كما تقدّم.

والشيء الذي لا بدّ من التأكيد عليه هنا، أنَّ تجارة النبي مع خديجة كانت على نحو المضاربة والمشاركة، ولم تكن على نحو الإجارة، فلم يكن النبي أجيرًا أو موظّفًا عند خديجة يأخذ بدل ما يقدّمه من أتعاب، وإنما كان شريكًا لها في تجارتها وله نسبة في الأرباح.

وكذلك فإنّ ما ورد في بعض النصوص من أنّ خديجة استأجرته في تجارتها لا يمكن المساعدة عليه، ولا تؤيّده الشواهد، بل الشواهد التاريخيّة على خلافه، وذلك لسبب بسيط هو ما ذكره اليعقوبي من أنّ النبي لم يكن أجيرًا لأحدٍ قط.

حلف الفضول

بعد سلسلة من حوادث الاعتداء على أموال وأعراض بعض الوافدين إلى مكّة في موسم الحج للزيارة أو التجارة، دعا الزبير بن عبد المطّلب إلى إقامة تحالف بين قبائل قريش بهدف: مواجهة كلّ مَن يعتدي على الآخرين، ووضعِ حدٍّ لغطرسة بعض المكّيّين الذين كانوا يتعمَّدون الإساءة ويقومون بالاعتداء على الزائرين.

فاستجاب لدعوته بنو هاشم، وبنو عبد المطلب، وبنو أسد وغيرهم، وعقدوا اجتماعًا في دار عبد الله بن جدعان تحالفوا فيه على محاربة الظلم والفساد والانتصار للمظلوم والدفاع عن الحق، وكان هذا التحالف أشرف تحالف يعقد في الجاهليّة وقد سمِّي بحلف الفضول، لأنّ قريشًا قالت بعد إبرامه: هذا فضول مِن الحلف، وقيل: لأنّ ثلاثة ممّن اشتركوا فيه كانوا يُعرفون باسم الفضل، وهم: الفضل بن مشاعة، والفضل بن بضاعة، والفضل بن قضاعة، فسمِّي بذلك تغليبًا لأسماء هؤلاء.

تبنّى أبو طالب وغيره من القرشيِّين الحلف المذكور، وقد حضره النبي ﷺ وشارك فيه وكان يتجاوز العشرين من عمره الشريف، وأثنى عليه بعد نبوّته وأمضاه، فقد رُوي أنه قال ﷺ: "لقد حضرت في دار عبد الله بن جدعان حلفًا ما يسرّني به حمر النعم، ولو دعيت إلى مثله لأجبت".

إنّ نظرةً تحليليّة بسيطة على هذا الحلف تقودنا إلى تسجيل الأمور التالية:

أولاً: إنّ ثناء النبي ﷺ على هذا الحلف، ومشاركته فيه، وإمضاءه له، يدلّ على أن هذا الحلف ينسجم في أهدافه مع أهداف الإسلام، لأنّه قائم على أساس الحقّ والعدل والخير.

ثانيًا: إنّ النبي ﷺ يمتدح هذا الحلف ويثني عليه مع أنّ الذين قاموا به كانوا وقتها على الشرك والكفر، ولكنه يهدم مسجد الضرار مع أنّ الذين بنوه كانوا وقتها يتظاهرون بالإسلام ويتعاملون على أساسه بحسب الظاهر.

وهذا يؤكد واقعيّة الإسلام، وأنّه إنما ينظر إلى مضمون العمل وقيمته وليس إلى شكله وصورته، فالإسلام لا يغترّ بالمظاهر، ولا تخدعه الشعارات مهما كانت برّاقة إذا كانت تخفي وراءها الوصوليّة والخيانة والتآمر، فالحقّ حقّ، ومقبول، ولا بدّ من الالتزام به والتعامل على أساسه، ولو صدر مِن مشرك، والباطل باطل، ومرفوض، ولا يجوز الالتزام به ولا التعامل معه مهما كانت شعاراته وعناوينه برّاقة ومغرية.

ثالثًا: إنّ اهتمام النبي ﷺ بحلف الفضول إنما يدلّ على أنّ الإسلام ليس منغلقًا على نفسه، وإنما هو يستجيب لكلّ عمل إيجابي فيه خير الإنسان، ويشارك فيه على أعلى المستويات، انطلاقًا مِن الشعور بالمسؤوليّة، وانسجامًا مع أهدافه الكبرى، ومع المقتضيات الفطريّة والعقل السليم.

رابعًا: إنّ موقف النبي ﷺ مِن هذا الحلف ليس إلاّ مِن أجل تحريك المشاعر وإيقاظ الضمائر للتحالف والتكتُّل في وجه الظلم والعدوان، والتعاون على الخير والإحسان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كلّ عصر وزمان، وخاصّة إذا انحرف الحاكم واتَّبع أهواءه واستغل أموال الناس وخيرات البلاد والعباد لمصالحه وأطماعه الذاتيّة.

تجديد بناء الكعبة

أوّل من بنى الكعبة آدم عليه السلام، ثمّ انهدم البناء فكان إبراهيم عليه السلام أول من رفع قواعده من جديد وأبان أعلامه، وذلك بأمر من الله ليكون مركزًا للتوحيد والعبادة، وذلك بعد أنْ هاجر إبراهيم بزوجته هاجر وولده إسماعيل إلى أرض مكة.

وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

ومِن المعلوم أنّ بناء الكعبة تضَمَّن حجرًا أسودًا قيل: إنّ إبراهيم أخذه من جبل أبي قبيس في مكّة ووضعه في مكانه، وقيل: إنّه نزل به جبرئيل مِن الجنّة.

وقد ظلت الكعبة، معبدًا للعرب على مرِّ السنين يحجّون إليها ويتعاهدونها بالبناء والترميم كلّما دعت الحاجة.

وقيل أنّها تهدّمت بعد أنْ مرت عليها القرون الطويلة، فأعاد العمالقة بناءها ثم تهدّمت بعد ذلك، فبنتها جرهم وأصبحت في ولايتهم.

ويقول بعض المؤرّخين: إنّ جرهم بغت واستحلّت المحارم فأبادها الله، وانتقلت ولاية الكعبة مِن بعدها إلى خزاعة، ثمّ مِن بعدهم إلى قريش.

في أثناء ولاية قريش عليها وقبل النبوّة بخمس سنوات أو أكثر تمّ هدمها وتجديد بنائها. ويذكر اليعقوبي روايتين في سبب ذلك:

الأولى: إنّها تصدّعت من آثار السيول.

الثانية: إنّ امرأة كانت تبخرها فتطايرت شرارة إلى ثوب الكعبة فاحترق، واحترق بابها والأخشاب التي كانت بها. وإثر ذلك اجتمعت قريش وقرّرت هدمها وتجديد بنائها ورصدوا لذلك نفقة طيّبة، ليس فيها مهر بغي، ولا بيع ربا، ولا مظلمة مما أخذوه غصبًا، أو قطعوا به رحمًا، أو انتهكوا فيه حرمة وذمّة.

ويقول المؤرخون: إنّ قريشًا وزّعت الهدم والبناء على القبائل، فكان لكلّ قبيلة جهة معينة، وكان الوليد بن المغيرة أوّل من بادر إلى هدمها بعد أنْ تهيَّب غيره من فعل ذلك.

وهكذا بدأت كلّ قبيلة تجمع الحجارة وتبني الجهة المعيّنة لها حسب الخطّة. ويقال: إنّ النبي ﷺ شارك في جمع الحجارة.

ولمّا بلغ البنيان موضع الحجر الأسود اختلفوا فيمن يرفع الحجر إلى موضعه، وأصبحت كلّ قبيلة تريد هي أن تنال شرف رفعه إلى موضعه، لأنّهم كانوا يرَوْن أنَّ من يضع الحجر في مكانه تكون له السيادة والزعامة.

وكاد الأمر يؤدي بهم إلى فتنة كبيرة حيث استعدّوا للقتال، وانضم كل حليف إلى حليفه، حتى أنّ بعض القبائل تحالفوا على الموت وغمسوا أيديهم في الدم فسمّوا لعقة الدم.

ولما وصلوا إلى هذا الحدّ الخطير اقترح عليهم أبو أميّة بن المغيرة والد أمّ سلمة زوجة النبي ﷺ أن يُحكِّموا في هذا النزاع أوّل داخل عليهم، فكان محمّد بن عبد الله ﷺ أوّل الوافدين، فلمّا رأوه استبشروا بقدومه وقالوا: لقد جاءكم الصادق الأمين، أو هذا الأمين قد رضينا به حكمًا.

فطلب منهم النبي ﷺ أن يحضروا له ثوبًا فأتوا له بثوب كبير، فأخذ الحجر ووضعه فيه بيده، ثمّ التفت إلى شيوخهم وقال: "لتأخذ كل قبيلة بطرف من الثوب ثمّ ارفعوه جميعًا"، فاستحسنوا ذلك ووجدوا فيه حلاً يحفظ حقوق الجميع، ولا يعطي لأحد امتيازًا على الآخر، ففعلوا ما أمرهم به، فلمّا أصبح الحجر بمحاذاة الموضع المخصص له، أخذه رسول الله ﷺ بيده الكريمة ووضعه مكانه.

إنّ التأمّل في وقائع هذه الحادثة يجعلنا نخلص إلى النتائج التالية:

الأولى: إنّ اشتراط قريش أنْ تكون نفقة الكعبة طيّبة لا ربا ولا غصب فيها ولا مظلمة لأحد... إنْ دلّ على شيء فإنما يدلّ على شعور حقيقي بقبح هذه الأمور وعدم رضا الله والوجدان بها، وقد يفسِّر ذلك أيضًا باقتضاء الفطرة لذلك، وحكم العقل بقبحه.

الثانية: إنّ ما تقدَّم يدلّ على أنّ أهل مكة كانوا يتعاملون بالمنطق القبلي حتى في تعاونهم على بناء البيت وحمل الحجارة له، وهو أقدس مقدّساتهم ورمز عزهم ومجدهم وكرامتهم، بل وعليه تقوم حياتهم، وإنّ تحالف لعقة الدم حينما اختلفوا فيمَن يرفع الحجر إلى موضعه، يعتبر الذروة في هذا المنطق الجاهلي الذي يأباه الوعي الإنساني وتنبو عنه الفطرة، ويرفضه العقل السليم.

الثالثة: إنّ فرح قريش حينما رأوا النبي ﷺ أوّل داخل عليهم، ثمّ وصفهم له بأنه "الصادق الأمين" يكشف عن المكانة الاجتماعيّة الخاصّة التي كان يحتلُّها النبي ﷺ في نفوس الناس في مكّة، حتى أنّهم كانوا يحكِّمونه في كثير مما كان يقع الخلاف فيه بينهم، ويضعون كلّ ثقتهم به، وبعقله ووعيه وحكمته.

أختبر نفسي

1- ما هي أهمّ الأحداث التاريخية التي مرّت في حياة النبي ﷺ وهو بعنفوان الشاب؟

.....

2- كم كان عمر النبي ﷺ عندما تزوّج من سيدتنا خديجة رضي الله عنها؟

.....

3- ما هو حلف الفضول ؟ ولماذا شارك فيه رسول الله ﷺ؟

.....

4- اذكر بإيجاز حادثة تجديد بناء الكعبة مبيّنًا دور رسول الله ﷺ فيها.

.....

درس اليوم

في غار حراء

يقع جبل حراء في شمال مكّة، ويستغرق الصعود إليه مدّة نصف ساعة، ويتكوّن من قطع صخريّة لا أثر للحياة فيها. أمّا الغار فيقع في شمال الجبل، وهو يحكي ذكريات رجل طالما تردّد عليه وقضى الساعات والأيّام والأشهر في رحابه، يتعبّد اللّه ويتأمّل في الكون وفي آثار قدرة اللّه وعظمته، إذ أنّ النبي ﷺ كان يفكّر في أمرين، قبل أنْ يبلغ مقام النبوة:

1- ملكوت السماوات والأرض، فيرى في ملامح كلّ مِن الكائنات نور الخالق العظيم وقدرته وعظمته، فتفتح عليه نوافذ مِن الغيب تحمل إلى قلبه وعقله النور الإلهي المقدّس.

2- المسؤوليّة الثقيلة التي ستوضع على كاهله، فكان يفكر في فساد حياة المجتمع المكي، وكيفية رفع كلّ ذلك وإصلاحه.

وتفيد الروايات أنّ أول ايات قرأها جبرائيل على النبي ﷺ هي قوله تعالى في سورة العلق: (بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ).

بعد تلقين ذلك البيان الإلهي، عاد النبي ﷺ إلى أهله مستبشرًا مسرورًا بما أكرمه الله به مِن النبوّة والرسالة، مطمئنًّا إلى المهمة التي شرّفه الله بها، فلم يكن خائفًا أو مرعوبًا مما جرى له، بل كان عالمًا بنبوّة نفسه، وكان ينتظر اللحظة التي يأتيه فيها جبرئيل ليعلن نبوته ورسالته، فلمّا دخل على خديجة رضي الله عنها أخبرها بما أنزله الله عليه وما سمعه من جبرئيل فقالت له: أبشر فوالله لا يفعل الله بك إلاّ خيرًا، وأبشر فإنّك رسول الله حقًّا.

وقد سئل الإمام الصادق عليه السلام: كيف لم يخف رسول الله فيما يأتيه من قبل الله أن يكون مما ينزغ به الشيطان؟

فقال عليه السلام: "إنّ الله إذا اتخذ عبدًا رسولاً أنزل عليه السكينة والوقار، فكان الذي يأتيه من قبل الله مثل الذي يراه بعينه".

وسئل عليه السلام: كيف علمت الرسل أنّها رسل؟ قال: "كشف عنهم الغطاء".

وقال العلامة الطبرسي قدس سره: إنّ الله لا يوحي إلاّ بالبراهين النيِّرة، والآيات البينة، الدالّة على أنَّ ما يوحي إليه إنمّا هو مِن الله تعالى؛ فلا يحتاج إلى شيء سواها، ولا يفزع ولا يفرق.

أوّل من أسلم

بدأ انتشار الإسلام تدريجيًا، وكان هناك سابقون كما كان هناك لاحقون،وعُدَّ السبق إلى الإيمان برسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم في صدر الإسلام،معيارًا للفضل، ولذا كان لابدّ من التعرف على هوَلاء السابقين. ومن المسلّمات، أنّ السيدة خديجة رضي الله عنها كانت أوّل امرأة آمنت به فلم يختلف في هذا أحد وخاصّة أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أكّد بنفسه ذلك في قوله: "آمنت بي إذ كفر الناس، وصدّقتني إذ كذّبني الناس"، فهي أوّل من التقته بعد نزول الوحي عليه في الغار، فآمنت به وصدّقته.

لقد اتّفق المؤرّخون على أنّ عليًا عليه السلام أول الناس إسلامًا ولكنّهم اختلفوا في سنِّه يوم إسلامه، فقيل إنّه كان في الخامسة عشرة مِن عمره ، وقيل أكثر من ذلك وبعضهم قال أنّ عمره الشريف يوم إسلامه كان يتراوح بين العاشرة والثالثة عشرة، حيث قال: إنّه ولد بعد مولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بثلاثين عامًا ، وبما أنّ مبعث النبي يتراوح بين الأربعين مِن عمره والثلاثة والأربعين حسب اختلاف الروايات في ذلك فيكون عمره يتراوح بين العاشرة والثالثة عشرة.

ويؤكّد الإمام علي عليه السلام موقفه بقوله: "اللّهمّ إنّي أوّل مَن أناب وسمع وأجاب، ولم يسبقني إلاّ رسول اللّه بالصلاة".

كما أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أكّد ذلك أيضًا في أحاديثه المتكرّرة: "أوّلكم إسلامًا علي بن أبي طالب. ومن أقوال الإمام علي عليه السلام في ذلك، يذكر حكيم مولى زاذان إنّه قال سمعت عليًّا عليه السلام يقول: "صلّيت قبل الناس سبع

سنين، وكنّا نسجد ولا نركع، وأوّل صلاة ركعنا فيها صلاة العصر"، وقال أيضًا: "بُعث رسول اللّه يوم الاِثنين وأسلمت يوم الثلاثاء".

و قد أكّد هذا الموقف أكثر من ستّين صحابيًّا وتابعيًّا أيّدوا القول الذي يذكر أنّ الإمام عليًا عليه السلام كان أوّل القوم إسلامًا.

المرحلة الأولى بالدعوة (الدعوة السرّيّة)

منذ أن نزل الوحي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخذ يدعو إلى دين الله سرًّا مدّة ثلاثة أعوام، عمد فيها إلى بناء الكوادر وإعدادها من أفراد محدّدين، كانوا السبب في أنْ ينجذب إلى الدين الجديد جماعة آخرون تقبّلت دعوته وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يخرج مع بعض أتباعه إلى شعاب مكّة للصلاة فيها بعيدًا عن أنظار قريش، إلاّ أنّ البعض منهم رأوهم يصلُّون، فحدث نزاعٌ قصيرٌ بين الطرفين حين استنكروا فعلهم، وهو ما جعلَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقرّر اتّخاذ بيت الأرقم بن أبي الأرقم مكانًا للعبادة حيث آمن في هذا البيت عددٌ آخر من المشركين، وقد ركّز الرسول صلى الله عليه وآله وسلم جهده في الدعوة السريّة، دون عجلة أو تسرّع، يعرض فيها دينه على كلّ مَن وجده أهلاً لتقبُّل المبادئ السامية للدين الحنيف.

ولا ريب أن حكمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في دعوته إلى الإسلام ودعوة الأفراد بصورة هادئة خلال هذه السنوات الأولى، لم يكن بسبب الخوف على نفسه، بل خوفًا على مستقبل الدعوة مِن أي نشاط إرهابي يقضي عليها وهي لمّا تكتمل بعد ولم تترسخ لكي تصمد أمام أي معارضة أو مواجهة سافرة، قد يتهدّدها بالفناء.

فكانت نتيجة هذا الأسلوب الذي اتبعه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في دعوته أمرين:

الأول: عدم تعريض الطليعة المؤمنة، لأي عمل إرهابي يشلّ الحركة ويفكّك ارتباطها ومِن ثمّ يدفعها إلى التشرذم والضياع.

الثاني: توفير العدد الكافي من المؤمنين بالرسالة، لكي تتحمّل مسؤوليّاتها في التغيير الإسلامي بجدارة وإيمان.

ولذلك فإن هذه المرحلة، كانت بمثابة إعداد نفسي وتربية عقيديّة وروحيّة وجهاديّة لتلك الصفوة التي دخلت في الإسلام، وكان لا بدّ منها ليتسنّى للنبي صلى الله عليه وآله وسلم القيام بمثل هذه التربية التي تُمكّن المؤمنين مِن الصمود في وجه التحديات التي تنتظرهم.

وقد جمع النبي ﷺ في السنوات الثلاث الأولى أربعين شخصًا، لم يكن فيهم كفاية لأنْ يصبحوا قوّة دفاعيّة لحماية النبي ﷺ ورسالته، ممّا جعله يسعى إلى دعوة أقربائه، فكسر بذلك جدار الصمت بالشروع في دعوة الأقربين ثمّ الناس أجمعين والتي سوف نناقشها في الدرس المقبل إن شاء الله تعالى.

أختبر نفسي

1- أن يقع غار حراء؟ وما هو سرّ تأمُّل النبي ﷺ فيه قبل البعثة؟

.....

2- مَن هو أوّل من آمن برسول الله ﷺ؟

.....

3- لماذا لم يجهر الرسول ﷺ بدعوته منذ البداية؟

.....

.....

مشروع تعليم الصلاة

الدرس السادس

الدعوة الجهرية

الدعوة الجهرية

درس اليوم

تحدّثنا في الدرس السابق عن المرحلة الأولى للدعوة، وهي المرحلة السريّة التي بدأها النبي ﷺ مع آحاد من الناس، وفي هذا الدرس سنتعرّف على المرحلة الثانية من الدعوة؛ فإليها.

المرحلة الثانية (الدعوة العامّة)

وفي هذه المرحلة استجاب الرسول ﷺ لقوله تعالى: (وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ) وقوله تعالى: (فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ)، وبدأ بتنفيذ أمر ربه بالدعوة العامّة عبر خطوتين:

الخطوة الأولى: دعوة الأقربين من عشيرته وقومه هم بنو هاشم أو بنو عبد المطلب إلى الإسلام وإبلاغهم رسالة الله تعالى تنفيذاً لقوله تعالى: (وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ) ومما قاله لهم بعد أن جمعهم في بيته وكانوا أربعين رجلاً:

"يا بني عبد المطلب إني لكم نذير من الله عز وجل، إني أتيتكم بما لم يأت به أحد من العرب، فإن تطيعوني ترشدوا، وتفلحوا، وتنجحوا... فمَن كفر بعد ذلك منكم فإنّ الله يعذّبه عذابًا شديدًا.. واتّقوا الله واسمعوا ما أقول لكم، واعلموا يا بني عبد المطلب أنَّ الله لم يبعث رسولاً إلاّ جعل له أخًا ووزيرًا ووصيًا ووارثًا من أهله، وقد جعل لي وزيرًا كما جعل للأنبياء من قبلي... لقد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني ربِّي أنْ أدعوَكم إليه، فأيُّكم يؤازرني على هذا الأمر على أنْ يكون أخي ووصي وخليفتي فيكم من بعدي".

فأحجم القوم عن الكلام غير علي عليه السلام إلى ثلاث مرّات، فلمّا رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم سكوتهم وإصرار علي على الإجابة أخذ برقبته وقال: "إنّ هذا أخي ووصي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا..."

فضحك الجميع مستهزئين، وقالوا لأبي طالب: قد أمرك أنْ تسمع لابنك وتطيعه وجعله عليك أميرًا.

إنّ الابتداء بذوي القرابة والعشيرة يهدف إلى:

أولاً: تثبيت أولى دعائم الدعوة، لأنّه إذا استطاع أنْ يستقطب عشيرته الأقربين إلى الإسلام يستطيع بعد ذلك أنْ يتوجّه إلى غيرهم بقدم ثابتة وعزم راسخ وإرادة مطمئنّة.

ثانيًا: دفع أبناء عشيرته إلى الدفاع عنه بدافع القرابة على فرض أنّهم لم يؤمنوا بدعوته.

ثالثًا: بلورة مدى استعداد البنية الداخليّة مِن أقربائه وقومه للوقوف إلى جانبه والتحمُّل معه، ليتمّ مِن خلال ذلك تقدير المواقف المستقبليّة في مواجهة التحدّيات.

رابعًا: التأكيد على أنّ ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام من الآن فصاعدًا ركن من أركان هذا الدين.

الخطوة الثانية: دعوة عامّة الناس بمن فيهم قريش إلى الدخول في الإسلام.

فقد ذكر المؤرخون: أنّه بعد أنْ أنذر النبي صلى الله عليه وآله وسلم عشيرته الأقربين، وانتشر أمر نبوّته في وسط مكّة، بدأت قريش تتعرّض للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بالاستهزاء والسخرية والتكذيب، وكان من جملة الذين المستهزئين به عمُّه أبو لهب، فأنزل الله قوله تعالى: (فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ)، وكانت هذه الآية تمثّل الأمر بإعلان الدعوة أمام جميع الناس مهما كانت النتائج، وقد وعده الله فيها بأنّه سيكفيه المستهزئين ويتولّى هو عزّ وجل أمرهم. فكانت الخطوة الثانية تنفيذاً لأمر الله في الآية، حيث صعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الصفا ونادى قريشًا وقبائل مكة فلما اجتمعوا قال لهم: "أرأيتم لو أخبرتكم أنّ خيلاً في سفح جبل قد طلعت عليكم أكنتم مصدقي؟"، قالوا: نعم، أنت عندنا غير متّهم وما جربنا عليك كذبًا قط. فقال: "**إنّي نذير لكم** مِن عذاب شديد، إنّ الله أمرني أنْ أنذركم مِن عقابه، وإنّي لا أملك لكم مِن الدنيا منفعة ولا مِن الآخرة نصيبًا إلاّ أنْ تقولوا لا إله إلا الله".

ردود فعل قريش

كان رد فعل قريش أمام جهره صلى الله عليه وآله وسلم بالدعوة، أنْ أدبروا عنه وتنكَّروا لدعوته، وبدأوا يحاولون بشتّى الأساليب القضاء على حركته، وأهم المحاولات التي قاموا بها هي:

1- مواجهة النبي ﷺ بالتكذيب، والسخرية، والاستخفاف والاستهزاء، ورميه بأنواع التُّهم مِن قبيل ساحر ومجنون، وكان ذلك هو ردّ الفعل الأوّلي، ولم يصل ردّ الفعل هذا إلى حدِّ المواجهة المباشرة، إلاّ أنَّ استمرار النبي ﷺ بالدعوة وإصراره عليها من جهة، وتعرّضه لآلهة قريش وأصنامها مِن جهة أخرى، واتّساع نشاط النبي وتكاثر المسلمين باستمرار من جهة ثالثة، جعل المشركين يشعرون بجديّة الموقف وخطورته والتفكير في محاولة جديدة بعيدة عن العنف، فقرّروا ما سيلي في البند الثاني من المحاولات.

2- مفاوضة النبي ومساومته على الدعوة، وقد مرّت المفاوضات بثلاث جولات انتهت كلها بالفشل الذريع.

في الجولة الأولى: حاولت قريش استعطاف أبي طالب من أجل الضغط على ابن أخيه فقالوا له: "إنّ ابن أخيك قد سب الهتنا، وعاب ديننا، وسفّه أحلامنا، وضلّل أبناءنا، فإما أنْ تكفّه عنّا وإمّا أنْ تخلي بيننا وبينه"، فردّهم أبو طالب ردًّا رفيقًا على حدّ تعبير الطبري، فانصرفوا عنه وواصل النبي ﷺ دعوته.

وفي الجولة الثانية: تواصت قريش بالشدة وعدم المهادنة في الموقف فجاءوا إلى أبي طالب وقالوا له: "إنّا كنا قد استنهيناك عن ابن أخيك، فلم تنهه عنا، وإنّا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه آرائنا وعيب آلهتنا حتّى تكفّه عنّا، أو ننازله وإيّاك حتّى يهلك أحد الفريقين"، فوعدهم أبو طالب أنْ يبلغ ابن أخيه موقفهم، فكان رد النبي ﷺ ذلك الرد الخالد: "والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أنْ أترك هذا الأمر حتّى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته".

وفي الجولة الثالثة: عرضوا على أبي طالب أنْ يعطيهم محمّدًا ﷺ ليقتلوه ويأخذ هو في مقابله عمارة بن الوليد أجمل فتى في قريش! ليكون في رعايته وكفالته بدل محمّد، فرفض أبو طالب موبخًا لهم بقوله: لبئس ما تسومونني عليه أتعطوني ابنكم اغذوه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه، هذا والله ما لا يكون أبدًا.

3- مفاوضة النبي ﷺ ومساومته مباشرة عن طريق إغرائه بالمال والجاه، ولكن النبي ﷺ رفض عرضهم، ورأوا فيه رجلاً مِن نوع آخر لا طمع له في مال ولا سلطان.

4- نهي الناس عن الالتقاء بالنبي ﷺ والاستماع إلى ما يتلوه من قران، وقد تحدث القرآن عن ذلك بقوله تعالى: (وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ).

5- التعرُّض لشخص النبي ﷺ بالإيذاء المباشر، حيث رجموا بيته بالحجارة، وألقوا التراب على رأسه، وسلّطوا الصبيان عليه يرمونه بالحجارة، وقد تعرض النبي لأذى لا مثيل له من سفهاء قريش وعبيدهم، وأحيانًا من زعمائهم

ووجهاءهم كأبي جهل وعقبة بن أبي معيط وأبي لهب وزوجته التي كانت تضع الأشواك أمامه في طريقه وأمام داره حتى قال ﷺ: "ما أوذي نبي ما أوذيت".

6- اتّباع سياسة الإرهاب والتعذيب والتنكيل بالصفوة المؤمنة وخاصّة بأولئك الفقراء والضعفاء، الذين لا عشيرة تحميهم كآل ياسر، وبلال الحبشي، وعامر بن فهيرة، ومصعب بن عمير وغيرهم.

وقد ضرب هؤلاء المثل الأعلى في الصمود والصبر والثبات والجهاد والتضحية من أجل العقيدة والمبدأ والحق.

7- استخدام سلاح الحرب الإعلاميّة والدعاية ضدّ النبي ﷺ بكلّ ما تقتضيه من مجادلة ومهاترة وترويج إشاعات كاذبة، فقد كانوا يروجون بين الوافدين إلى مكة: "إنّ هذا الرجل ساحر، وأنّه يفرّق بين المرء وأبيه، وبين المرء وزوجه، وبين المرء وعشيرته، وأنّ ما يأتي به إنما يتعلّمه عند رجل نصراني اسمه جبر"، وقد ردّ عليهم القرآن بقوله تعالى: (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ).

8- المقاطعة لبني هاشم، وفرض حصار اجتماعي واقتصادي عليهم، وهو ما عرف بحصار الشعب.

مواجهة تحدّيات قريش

اتبّع النبي ﷺ في مواجهة محاولات قريش للقضاء على الإسلام، الخطوات التالية:

1- رَفْضُ كلّ أشكال المساومات والضغوط، والإصرار على الاستمرار في الدعوة، والثبات والصبر على الأذى والتحديات.

2- الاتّصال الشخصي والمباشر بكلّ الأفراد والجماعات الوافدة إلى مكة، وعَرْضُ الإسلام عليهم وعلى سائر القبائل، خاصّة في المواسم، فكان لا يسمع بقادم إلى مكّة له اسم وشرف ونفوذ إلاّ وبادر إلى اللقاء به، وكان لا يدع مناسبة يجتمع فيها الناس إلاّ قصدهم إلى أنديتهم ليدعوهم إلى الله.

3- توسيع دائرة الدعوة إلى خارج مكة وذلك من خلال أمر المسلمين بالهجرة إلى الحبشة، وخروجه هو ﷺ إلى الطائف، وإنجاز بيعة العقبة والتي سنتعرّض لها في الدروس القادمة إن شاء الله.

أختبر نفسي

1- اذكر الآيات القرآنية التي تشير إلى الدعوة الجهريّة؟

.....

.....

2- ما هي ردّة فعل قريش تجاه الدعوة الإسلامية؟

.....

.....

.....

.....

.....

3- ما هي أهمّ الخطوات التي اتّبعها النبي ﷺ في لمواجهة محاولات قريش للقضاء على الإسلام؟

.....

.....

.....

.....

صحيفة المقاطعة

لقد أيقنت قريش بعد المراحل التي مرّت بها مع الدعوة الإسلاميّة أنَّ جميع ما قامت به من صنوف الأذى والتعذيب ومن جهود لمحاربة هذا الخارج عليها وعلى دينها ودين الآباء والأجداد لم يحل ولن يحوّل بين الناس وبين الذي يدعو إليه محمّد بن عبد الله ﷺ، فالمسلمون يزدادون يومًا بعد يوم، وأصبحوا قوّة لا يمكن مكافحتها إلاّ بحرب أهليّة قد يكون خطرها على قريش وأتباعها أشدّ مِن خطرها على المسلمين، فما مِن بيت إلاّ وفيه من آمن بها أو هو على وشك الإيمان بها، وقد امتدّ خطرها إلى خارج الحجاز إلى الحبشة في جوار ملك رحيم فتح لهم قلبه وصدره وأتاح لهم أنْ يقولوا ما يشاؤون ويفعلوا ما يريدون، والعرب على اتّصال دائم ببلاد الأحباش، فماذا يصنعون بعد أن أحاط بهم خطر محمّد ﷺ وأصحابه، وبعد أن باءت جميع محاولاتهم للحدّ منها بالفشل؟

وبعد تفكير طويل مِن زعمائهم اتفقوا على تجربة جديدة وهي الحصار الاقتصادي وستكون نتيجتها حسب تقديرهم أحد أمرَين لا ثالث لهما، إمّا رجوع محمّد ﷺ إليهم مهادنًا، وإمّا القضاء عليه وعلى مَن معه مِن الهاشميّين والأتباع جوعًا وعطشًا مِن غير أنْ يكونوا مطالبين بدمه ودم أتباعه، فاتّفقوا على ذلك وكتبوا كتابًا تعاقدوا فيه أن لا ينكحوا بني هاشم ولا ينكحوا منهم ولا يتعاملوا معهم بشيء بيعًا وشراء مهما كان نوعه، ولا يجتمعوا معهم على أمر مِن الأمور، ووقّع على الصحيفة أربعون رجلاً مِن وجوه قريش وعلَّقوها في الكعبة وحصروهم في شِعْب أبي طالب .

وكانت أهم بنود الوثيقة التي تم التوقيع عليها من أجل القضاء على النبي ﷺ ودعوته:

1- أنْ لا يزوِّجوا أحدًا مِن نساءهم لبني هاشم، وأن لا يتزوّجوا منهم.

2- أنْ لا يبتاعوا منهم شيئًا، ولا يبيعوهم شيئًا مهما كان نوعه.

3- أنْ لا يجتمعوا معهم على أمر مِن الأمور.

4- أنْ يكونوا يدًا واحدة على محمّد وأتباعه.

قدَّرتْ قريش أنَّ هذا الحصار سيؤدِّي إلى أحد ثلاثة أمور: إمّا قيام بني هاشم بتسليمهم النبي ليقتلوه، وإمّا أن يتراجع النبي ﷺ عن الدعوة، وإمّا القضاء عليه وعلى جميع مَن معه جوعًا وعطشًا تحت وطأة الحصار.

ودخل بنو هاشم الشعب وقد كانوا أكثر مِن أربعين رجلاً عدا نسائهم وأطفالهم وحصن أبو طالب الشعب وتولّى بنو هاشم حراسته في الليل والنهار مخافة أنْ يتسلّل أحد من المشركين إلى النبي محمّد ﷺ ويغتاله على حين غفلة مِن قومه، وكانت قريش تظنّ ظنًا قويًّا أنّ هذه التجربة السلبيّة بما تنطوي عليه مِن تجويع ومقاطعة كاملة ستكون أقوى أثرًا من سياستهم الأولى سياسة التعذيب والتنكيل.

وكانت قريش ترجو مِن هذه المقاطعة تغيير موقف محمد ﷺ، أو على الأقل تنتهي إلى اعتزال قومه إيّاه.

ولكنّ محمّدًا ﷺ الذي اختاره الله لرسالته لم يغيّر منه هذا الموقف شيئًا، وازداد تصميمًا على المضي فيها معتصمًا بحبل الله سبحانه صابرًا على ما أحاط به وبقومه ولم يزد أهله والذين اتبعوه إلا تمسكًا به وتصميمًا على الذود عنه وعن رسالته.

وظلّ المسلمون في شعب أبي طالب يقاسون الجوع والحرمان وقد استمرّ الحصار ثلاث سنوات مِن السنة السادسة حتّى التاسعة للبعثة، وكان المسلمون خلاله ينفقون مِن أموال خديجة وأبي طالب، حتّى نفدت واضطروا أنْ يقتاتوا بورق الشجر، ولم يكونوا يجسرون على الخروج من شعب أبي طالب إلاّ في موسم العمرة في رجب، وموسم الحجّ في ذي الحجة، فكانوا يشترون حينئذٍ ويبيعون ضمن ظروف صعبة جدًّا.

انتهى الحصار بعدما أكلت الإرضة بمعجزة مِن الله عز وجل ما كتبه المشركون في صحيفة التي تعاقدوا فيها على الحصار، وقيام جماعة منهم ممّن تربطهم ببني هاشم علاقات نسبيّة بنقض الصحيفة وإلغاء مفاعيلها.

وانتهى أمر الصحيفة وما جاء فيها بعد موقف هؤلاء الذين أبت نفوسهم الكريمة هذه القطيعة التي كادت أن تقضي على الهاشميين وأتباعهم من الجوع والحرمان، وعاد محمّد ﷺ ومَن معه مِن الشعب بعد تمزيق الصحيفة واستأنف دعوته في مكّة ومع القبائل التي تقصدها في أشهر الحجّ والأشهر الحرم.

عام الحزن

بعد أحداث المقاطعة الاقتصاديّة والحصار الذي قام به المشركون ضد المسلمين، وبعد نقض تلك الصحيفة الجائرة، انطلق المسلمون مِن الشِعب يستأنفون نشاطهم الدعوي، بعدما قطع الإسلام في مكّة قرابة عشرة أعوام مليئة بالأحداث الجسام، وما أنْ تنفَّس المسلمون مِن الشدة التي لاقوها، إذا برسول الله ﷺ يصاب بمصيبتين عظيمتين هما: وفاة زوجته السيدة خديجة، ووفاة عمّه أبي طالب.

هاتان الفاجعتان الأليمتان في أشهرٍ معدودات أو أيّام معدودات كلّ واحدة منهما على انفرادها تكفي لأنْ تترك أقوى النفوس كليمة مضعضعة فكيف وقد اجتمعتا على محمّد ﷺ في عام واحد، وأخصامه ينتظرون تلك اللحظات.

ولكنّ محمّدًا ﷺ بالرغم مِن وطأة تلك النكبة وأثرها العميق في نفسه مضى في طريقه وتابع سيرته، وجدت قريش في إيذائه والتنكيل بأصحابه، وكان مِن أيسر أنواع الأذى الذي أنزلته به بعد أنْ فقد عمّه أنْ مرّ عليه أحد سفهاء قريش فاغترف بكلتا يديه من التراب والأوساخ وألقاها على وجهه ورأسه، فدخل بيته والتراب قد لطّخ وجهه ورأسه، فقامت إليه ابنته فاطمة عليها السلام وكانت أصغر بناته وجعلت تغسل التراب عن رأسه وتبكي وهي حديثة عهد بتلك الفاجعة الأليمة التي تجرّع أبوها مرارتها.

وكان بكاؤها موجعًا لقلبه ونفسه والتفتَ إليها وعيناها تهمي بالدموع ومسح رأسها بكلتا يديه وقال لها: "لا تبكي يا بنيّة فإنّ الله مانع أباك وناصره على أعداء دينه ورسالته".

الإسراء والمعراج

لقد اتّفق المسلمون على أنّ النبي ﷺ أسري به ليلاً مِن المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ومنه عُرج إلى السماء ليرى من مظاهر قدرة الله وعجائب مخلوقاته ما خفي على أهل الأرض وعجزت عنه عقولهم ومداركهم، ونصّ القرآن الكريم على المرحلة الأولى من مراحل تلك الرحلة في الآية الأولى من سورة الإسراء: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

بدأ النبي رحلته مِن بيت أُمّ هانئ أُخت الإمام علي عليه السلام حيث ركب النبي ﷺ على البراق متّجهًا إلى بيت المقدس في فلسطين، والّذي يسمّى المسجد الأقصى، وتفقّد بيت لحم مسقط رأس السيّد المسيح ومنازل الأنبياء عليهم السلام وآثارهم، وصلّى عند كلّ محراب ركعتين. ثمّ بدأ في القسم الثاني من رحلته، المعراج إلى السماوات العُلَى، فشاهد النجوم والكواكب، واطّلع على نظام العالم العلوي، وتحدّث مع أرواح الأنبياء والملائكة،

واطّلع على مراكز الرحمة والعذاب -الجنّة والنار -ورأى درجات أهل الجنّة، و تعرّف على أسرار الوجود و رموز الطبيعة، ووقف على سعة الكون وآثار القدرة الإلهيّة المطلقة، ثمّ واصل رحلته حتى بلغ سدرة المنتهى، فوجدها مسربلة بالعظمة المتناهية والجلال العظيم. وهنا كان قد انتهى برنامج الرحلة، فأُمر بالعودة مِن حيث أتى، فمرّ في طريق عودته، على بيت المقدس ثانية، ثمّ توجّه نحو مكّة، مارًّا على قافلةٍ تجاريةٍ خاصّة بقريش، وبناقة لهم قد ضلّت في البيداء يبحثون عنها، وشرب من مائهم، ثمّ ترجّل عن مركبته الفضائيّة (البراق) في بيت أُمّ هانئ، قبل طلوع الفجر. فأخبرها بما حدث، كما كشف عنه في أندية قريش صباح نفس تلك الليلة. إلاّ أنّ قريشًا كعادتها كذّبته وأنكرته، على أساس عدم استطاعة النبي ﷺ القيام بذلك في ليلة واحدة، وطلبوا منه أن يصف بيت المقدس، فوصفه النبي ﷺ وصفًا شاملاً، مع ما شاهده في الطريق.

أختبر نفسي

1- عدِّد أهم بنود صحيفة المقاطعة لبني هاشم. وما نتائجها؟

.....

.....

.....

2- لماذا سمّى النبي ﷺ عام الحزن بهذا الاسم؟

.....

.....

3- ما هي حادثة الإسراء والمعراج؟ مِن أين بدأت؟ وإلى أين انتهت؟

.....

.....

.....

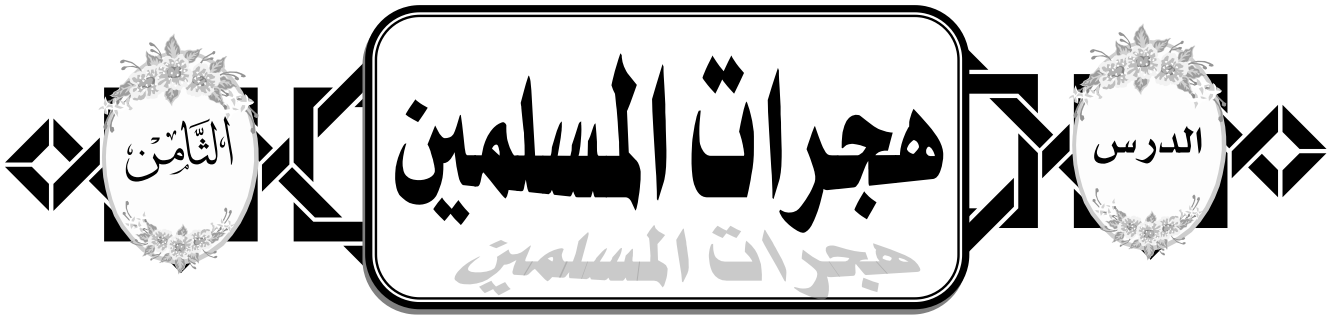

الهجرة إلى الحبشة

هاجر المسلمون إلى الحبشة في رجب من السنة الخامسة للبعثة بعدما أمرهم النبي ﷺ بذلك وقال لهم: إنّ بها ملكًا لا يظلم عنده أحد. وكان عددهم في أرض الحبشة ثلاثة وثمانين ما بين رجل وامرأة عدا الأطفال، وكان في مقدّمتهم جعفر بن أبي طالب ابن عم رسول الله ﷺ.

وعلى ما يبدو أنّ الهدف مِن هذه الهجرة:

أوّلاً: التخلّص مِن الضغوط وسياسة الإرهاب والتعذيب التي كان يتعرّض لها المسلمون داخل مكّة، وإيجاد مكان آمن للمسلمين ولكلّ مَن يدخل في الإسلام يستطيعون فيه ممارسة شعائرهم بحرّيّة، بعيدًا عن أذى قريش ومضايقاتها واضطهادها.

ثانيًا: التبشير بالإسلام ومبادئه وأهدافه وأحكامه، والترويج له والتعريف به خارج الجزيرة العربيّة، بدليل هجرة جماعة ممَّن لم يتعرّض للتعذيب أو التنكيل، كجعفر بن أبي طالب مِن جهة، وبقاء المهاجرين في الحبشة إلى ما بعد السنة الثالثة أو السابعة بعد الهجرة النبويّة إلى المدينة من جهة أخرى.

ثالثًا: توجيه ضربة لكبرياء قريش، ولتدرك أنّ قضية الإسلام تتجاوز حدود تصوّراتها وقدراتها، وأنّ المسلمين قادرون على تجاوز حدود الوطن والتخلّي عن كلّ شيء في سبيل إنقاذ عقيدتهم وإسلامهم.

الخروج إلى الطائف

خرج النبي إلى الطائف في السنة العاشرة مِن البعثة وأقام فيها عشرة أيام يتجوّل بين أحيائها ويدعو أهلها إلى الإسلام، ولكنّهم لم يسمعوا منه، بل جلسوا في الطريق يرمونه بالحجارة حتّى جرح في رأسه، فانصرف رسول

الله ﷺ راجعًا إلى مكّة.

وقد كان يهدف النبي ﷺ مِن الانتقال إلى الطائف إلى الإعداد إلى المستقبل باعتبار أنّ الطائف هي البلد الثالث الذي له موقعه ونفوذه الخاص في المنطقة نظرًا لوجود قبيلة كبيرة فيها هي ثقيف، فلا بدّ من التمهيد إلى إسلامهم في المستقبل.

وربمّا تكون ثمّة أهداف أخرى منها: إيجاد قاعدة ارتكاز لدعوته في الطائف بدل مكّة، بعد أنْ وجد ﷺ أنّ مكّة لا تصلح أنْ تكون قاعدة لعمله الرسالي، وخصوصًا بعدما أثّرت عمليات التعذيب والإرهاب التي مارستها قريش بحقّ المسلمين في التأثير على نشاط النبي ﷺ والحدّ من انتشار الإسلام بين الناس.

بيعة العقبة

بعد أنْ عاد النبي ﷺ من الطائف استأنف جهوده عند حلول موسم الحج متنقّلاً بين وفودها، حيث اجتمع بستّة من أهل يثرب المدينة في السنة الحادية عشرة مِن البعثة، فدعاهم لرسالته، فآمنوا به، وأقسموا أنْ يعملوا في سبيلها عند عودتهم إلى بلدهم.

ولم يكن اجتماعه بهؤلاء الستّة عملاً عفويًّا، بل كان مقصودًا، حيث اجتمع بهم بشكل شبه سرّي، وركّز على عدد محدود، لا كما فعل مع باقي الوفود حيث كان يدعوها علانية.

واستهدف الرسول ﷺ مِن هذا الاجتماع حث هؤلاء الأشخاص على القيام بنشاط في بلادهم لتهيئة الجوّ وخلق مناخ مؤيّد ومتعاطف مع الدعوة ومبادئها الجديدة في المدينة.

العقبة الأولى

وعندما حلّ موسم الحجّ في العام الثاني التقى ﷺ مع اثني عشر رجلاً من اليثربيِّين، واجتمع بهم سرًّا في وادٍ ضيّق بالعقبة بين مكّة ومنى، وهي العقبة الأولى، وقد أعلنوا فيها إيمانهم واستعدادهم للعمل على نشر الإسلام، وبايعوا رسول الله ﷺ على ذلك.

فلمّا أرادوا الانصراف إلى بلدهم، بعث رسول الله ﷺ معهم مصعب بن عمير مِن أجل أنْ يعلّمهم الإسلام، ويفقّههم في الدين، ويجعل منهم قوّة أكثر فاعليّة ودقّة في نشر الدين الجديد في صفوف أهل المدينة.

استطاع مصعب بن عمير بفعل وعيه وخبرته بشتّى أساليب العمل والتبليغ أنْ يقوم بواجبه كما أراد رسول

الله ﷺ. وكان عدد المسلمين في المدينة يزداد يومًا بعد يوم، وأصبح جوُّ المدينة العام مؤيِّدًا للرسول ﷺ، ومهيَّئًا لقدومه.

العقبة الثانية

وفي العام التالي أي في السنة الثالثة عشرة من البعثة وبعد مرور عام كامل على بيعة العقبة الأولى عاد مصعب بن عمير إلى مكّة ومعه جمع كبير مِن مسلمي المدينة، خرجوا مستخفين مع حجَّاج قومهم المشركين، ويبدو أنّ مصعبًا قبل حضوره إلى مكّة، كان قد رتّب اجتماعًا بين الرسول ﷺ وبين مسلمي يثرب بعد انتهاء موسم الحجّ.

فالتقى بعضهم بالنبي ﷺ وواعدهم أنْ يجتمع بهم في العقبة في اليوم الثاني من أيّام التشريق ليلاً، وأمرهم بالحفاظ على سرّيّة الاجتماع، وفي الليلة المعيّنة تمّ الاجتماع بحضور علي عليه السلام والحمزة في الدار الذي كان ينزل فيه الرسول ﷺ وهو دار عبد المطلب، فبايعوه على حمايته، وعلى أنْ يمنعوه وأهله مما يمنعون منه أنفسهم وأهليهم، وعلى أنْ ينصروه ويقفوا إلى جانبه في الشدّة والرخاء، كما بايعوه على السمع والطاعة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أنْ يدعوا إلى الله ولا يخافوا في الله لومة لائم، وقد سمِّيت هذه البيعة ببيعة العقبة الثانية.

لقد نجح النبي ﷺ في نهاية المطاف بفعل إصراره على مواصلة الدعوة وعدم يأسه أو استسلامه أمام الفشل الظاهري في الطائف وفي مكّة، وبفعل الثقة بوعد الله سبحانه بالنصر، في إيجاد القاعدة المناسبة التي يرتكز عليها الإسلام فكانت يثرب موضع اختياره الجديد.

وكانت بيعة العقبة هي الخطوة الرئيسيّة التي مهّد فيها النبي ﷺ للهجرة إلى المدينة المنورة، وبالهجرة إلى المدينة تبدأ المرحلة الثالثة من مراحل الدعوة وهي مرحلة بناء الدولة، والدفاع عن الإسلام، والتي سنطّلع عليها في الفصل القادم إن شاء الله تعالى.

أختبر نفسي

1-ما هي أهداف هجرة المسلمين إلى الحبشة؟

.....

.....

2-لماذا خرج النبي ﷺ لدعوة أهل الطائف؟

.....

.....

.....

3-وضّح بإيجاز حادثة بيعة العقبة.

.....

.....

.....

.....

.....

.....